العنوان:	من اعلام التجاريين: ابن خلدون رائد علم الاجتماع وأثره في الاقتصاد السياسي
المصدر:	مجلة المال والتجارة
الناشر:	نادي التجارة
المؤلف الرئيسي:	قطورة، سمير محمد
المجلد/العدد:	مج 6, ع 57
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1974
الشهر:	يناير
الصفحات:	26 - 27
رقم MD:	91571
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	مصر، ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ، ت 808هـ، علماء الاجتماع، التجار، الاقتصاد السياسي، الفكر الاجتماعي العربي، العلماء العرب، العلوم عند العرب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/91571

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

من أعلام التجاريين

إعداد : سهير محمد قطوم

ابن خلدون
رائد علم الاجتماع وأثره فى الاقتصاد السياسى

يحق لكل عربى بل وكل منتمى للتراث الاسلامى العريق أن يفخر بإبن خلدون أحد أعلام التاريخ الاسلامى وقائدا من قادة الفكر الانسانى ورائدا من رواد علم الاجتماع والاقتصاد العالميين .

*** من هو ابن خلدون ؟**

هو عبدالرحمن أبو زيد ولى الدين ولد بتونس سنه ٧٣٢هـ (١٣٣٢م) ابن خلدون الذى نشأ فى بلاد المغرب من أصول وأعرق تحدرت من الجزيرة العربية ، وقضى معظم حياته بين العلم والسياسه ، فألف تاريخه الكبير ، وأعان سلاطين الدول المغربية بخبرته وتجاربه ، ثم قضى الجزء الاخير من حياته بمصر مشتغلا بالتدريس والتأليف وتولى فيها القضاء الى أن مات فيها سنة ٨٠٨ هجريه .

*** حبه لمصر وحب مصر له :**

ان الثلث الاخير من حياة ابن خلدون الذى قضاه بمصر جعله يحب مصر ويعشقها فأحبته مصر وعشقته، فكان يتمتع باحترام أهل العلم وطلابه من المصريين فى أيامه ، وكان يتغنى بمصر فألف كتابا عرف فيه بنفسه وبحياته : فوصف القاهرة بأنها حضارة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الاسلام ، وكرسى الملك ، وأن القصور والاواوين والخوانق والمدارس تختال بآفاقها وأن علمائها يضيئون كالبدور والكواكب وأنها واخفه على شاطىء النيل يتعهدها بالرى ، ويفيض عليها بالثمرات ، وأن سككها تموج بالمارة وأسواقها تزخر بالنعم ، وأنها بلغت شأوا بعيدا فى العمران واتساع الاحوال حتى كان علماء المغرب الذين يزورونها يقولون «من لم يرى القاهرة لم يعرف عن الاسلام» . والى جانب هذه الوثيقه التى سطرها ابن خلدون عن وطننا مصر ، كان كتابه المقدمة (مقدمه ابن خلدون) أثر واضح فى ثقافتنا وتفكيرنا الحديث وقد أخذت المقدمة مكانها بين كتب النهضة المصرية والعربيه ومصادرها منذ القرن التاسع عشر ، وقد تربى على أسلوبها علمائنا ومفكرينا وباحثينا حيث وجد كل منهم بغيته ومراده ، فهى مرجع خالد عالج فيه قضايا الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربيه وفلسفه التاريخ والحضارة على طريقة منتظمه ، تبحث الاصول والقواعد وتفرع عليها الفروع والظواهر وتربط بين الاسباب والمسببات والنتائج ومقدماتها وتؤلف من كل هذا اتجاها جديدا لدراسة العمران البشرى يضع أساسه عالم عربى مسلم ، ويسجل التاريخ بفضله بابا من أبواب السبق للحضارة العربيه والاسلاميه .

*** العوامل التى هيأت لابن خلدون منزلته السمية :**

لقد ساعدت على عدة عوامل لارتقاء ابن خلدون وصعوده الى هذه المنزلة أهمها عبقريته النفاذة التى تصل أعماق الامور ومغاليقها ، واطلاعه الواسع على مؤلفات من سبقوه من المفكرين ، وملاحظاته الدقيقه الناقدة لكل ماكان يدور حوله فى عصر حافل بالتقلبات السياسيه ثم رحلاته التى هيأت له الاتصال بدول الاسلام القائمه لعهده فى ثلاث قارات ، أوربا وآسيا وأفريقيا ، جمع خلالها ثمارا يانعه استودعها فيما كتبه .

*** المناصب التى تولاها فى حياته:**

لقد تقلد هذا النابغه العظيم أعلى المناصب فى الدول الاسلاميه التى عاصرها فى القرن الثامن الهجرى فنال أسمى المراتب العلميه والسياسية والاداريه فى تونس ، والمغرب الاقصى، ودوله بنى الاحمر فى الاندلس ، ثم فى مصر والشام ، متنقلا من كرسى الاستاذيه مغترفا لطلابه من علمه الغزير الى كرسى القضاء للفصل فى الخصومات بين الناس وغيرها الى كرسى الوزارة والحجابه حيث كان العز والسلطان وقتها ، الى السفارات الخارجيه حيث تظهر الدبلوماسية والتضلع فى السياسه وحصافة الرأى .

*** الجانب المر من حياته :**

لم تكن حياة بن خلدون كلها سعادة وهناء ، فماكان لمثله أن يسلك السبيل السهل ، فقد كان فى عصره ثورات وفتن ، وسقوط دول وقيام أخرى ، وقد شاء ابن خلدون أن يحب فيها ويضع ، فكان نصيبه أن يسقط مرة ويرتفع أخرى فبجانب أنه ذاق عز الحكم فانه ذاق عزلة السجن ، وبجانب أنه تمتع بحظوة الملوك والخلفاء فانه اصطلى بنار الجفوة وتقلب أشواك الدسائس . ولا أعتبر هذا كله شر بل انه خير لان هذا كله كان له أعظم الاثر فى انضاج قريحته وتمحيص رأيه ، حيث اعتزل العامة وعكف على الكتابة فأخرج لنا ثروة من العالم أصبحت تراثا عريقا فى الشرق والغرب .

*** أعلام الفكر الغربى يشهدون لابن خلدون :**

لقد شهد لابن خلدون العديد من أعلام الفكر الغربى بأنه أول من قال بمبدأ الحتمية الاجتماعيه ، وأنه بذلك يكون قد اكتشف مبادىء العدالة الاجتماعيه والاقتصاد السياسى قبل تونسيدران وماركس وباكونين بخمسه قرون وهذه شهادات بعضهم:

*** شهادة أرنولد توينبى :** ان ابن خلدون فى المقدمه التى كتبها لتاريخه العام ، قد أدرك وأنشأ (فلسفة للتاريخ) ، وهى بلا شك أعظم عمل

من نوعه ، أبدعه أى عقل بشرى فى أى زمان ومكان ·

شهادة سارطون : قال سارطون فى كتابه (مدخل لتاريخ العلم) ، انه لمن المدهش أن يكون ابن خلدون قد توصل فى تفكيره الى اصطناع مايسمى اليوم بطريقة البحث التاريخى

شهادة لوفيج جميلوفتش : ان ابن خلدون قد سبق فى آرائه أقطاب علماء الاجتماع المحدثين ، فهو مثلا قد اكتشف نظريه (الاجيال الخاصه) بظهور الاسرار ونهوضها من قبل أن يعرفها (أوتوكارلونيس) فى أواخر القرن التاسع عشر ـ وكذلك عرف ابن خلدون قانون (التشبه بالوسط) قبل أن يعرفه العالم الطبيعى (دارون) بخمسة قرون كما اكتشف ابن خلدون مبدأ (وجود المادة) قبل أن يكتشفه العالم البيولوجى الالمانى (أرنست هيجل) بأكثر من خمسه قرون ·

شهادة فلنت : ليس أفلاطون ولا ارسطاليس ، ولا أغسطوس نظراء لابن خلدون ، أما من عداهم فليسوا أهلا لمجرد أن يقرن اسمهم باسمه ·

مقدمه ابن خلدون والاقتصاد السياسى :

لقد خصص ابن خلدون جزءا من مقدمته لعلم العمران البشرى وهو مايسمى فى عصرنا الحديث باسم الاقتصاد السياسى تكلم فيه عن الاسعار وتوزيع الصناعات على المناطق المختلفه فى الدولة ، ثم فى العمل والاجور والانتاج ثم فى الزراعة والتجارة ووسائل النقل وحاجة الدوله المتحضرة الى الصناعه والعلوم والفنون ، كما خصص فصلا عن الاحتكار ·

ولقد سبق ابن خلدون علماء الاقتصاد المحدثون فى كثير من نظرياتهم وعلى سبيل المثال نظريته فى قانون العرض والطلب فلقد لاحظ ابن خلدون الدور الذى يلعبه هذا القانون فى الاسواق والاسعار وصرح بأن الاسعار ترتفع عندما يزداد الطلب وتنخفض عندما يقل الطلب وهو لايكتفى بتسجيل هذا القانون الاقتصادى بهذا الشكل المجرد بل يتحرى العوامل الاجتماعيه الاخرى التى تؤدى الى زيادة الطلب كما أنه يتبع النتائج الاجتماعية التى تنجم عن زيادة الطلب وارتفاع الاسعار ·

كما أنه سبق علماء الاقتصاد فى تقسيم احتياجات الانسان للاشياء ، فلقد قسم الاشياء والسلع من وجهة علاقتها بالانسان الى ضروريات وكماليات وأنه فى الوقت نفسه يلاحظ أن الحدود الفاصله بين هذين الصفتين لم تكن مطلقه ولا ثابته بل هى نسبيه ومتحولة فان مايعتبر من الكماليات بالنسبه الى السواد الاعظم من الناس قد يصبح من الضروريات بالنسبه الى السواد الاعظم من الناس كما أنه مايعد من الكماليات فى بعض المدن قد تكون الضروريات فى المدن الاخرى · لان ازدياد العمران واستعمال الترف يحول الكماليات الى حاجيات ·

ولكن النتائج التى قد تولد من زيادة الطلب وازدحام الطالبين لاتنحصر فى ارتفاع الاسعار بل تشملها أمورا اجتماعيه أخرى أيضا أهمها اقبال الناس على الصناعات التى تنتج السلع المطلوبة وازدهار تلك الصناعات واستجادتها يقرر ابن خلدون فى فصل خاص « أن الصنائع انما تستجاد وتكثر اذا كثر طلبها» ويوضح رأيه هذا بالتفاصيل التاليه :

« اذا كانت الصناعه مطلوبة وتوجه اليها النفاق كانت حينئذ الصناعه بمثابه السلعه التى تنفق سوقها وتجلب للبيع فيجتهد الناس فى المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم ، واذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا توجه قصدا الى تعلمها فاختصت بالترك وفقدت بالاهمال ·

ويقول ابن خلدون فى فصل آخر: «ان الصنائع انما تستجاد اذا احتيج اليها وكثر طالبها واذا ضعفت أحوال المعد وأخذ فى الهرم بانتقاص عمرانه وقله ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا الى الاقتصار على الضرورى من أحوالهم فتقل الصنائع التى كانت من توابع الترف » ·

بهذه الصورة يربط ابن خلدون مسائل العرض والطلب بالاحوال الاجتماعيه العامه ويبحث فى عوامل الاحوال الاقتصاديه ونتائجها بنظرات شاملة لاتتوقف فى حدود الاقتصاديات المحضه وحدها بل تتعداها الى آفاق الحياة الاجتماعيه بمجموعها ·

حديث ابن خلدون عن المال بخيره وفتنته :

يقول ابن خلدون فى حديثه عن المال « من حق المال على أن أطلبه من معدنه ، وأصيب به الفرحه عند أهله ، ومن حقى عليه أن يقينى السوء بنفسه ، ويصون عرضى بابتذاله ، ولا يفعل ذلك الا بأن أسمح به ، ألا ترى والغنى ما أدوم نصبه ، وأقل راحته ، وأخس حظه ، وأشد ضرره، ثم هو بين سلطان يرعاه ، وذوى حقوق يسبونه ، وأكفاء ينافسونه ، وولد يرقبون فراقه ، ثم بعث عليه الغنى من سلطانه العناء ، ومن أكفائه الحسد ، ومن أعدائه البغى ، ومن ذوى الحقوق الذم ، ومن الولد الملال وذوى البلفه قنع فدام له السرور ، ورفض الدنيا فسلم من المحذور ورضى بالكفاف فتنكبته الحقوق » ·

هذه نظرته لحقيقة جمع المال وموارد الانفاق ، ثم فتنه المال الكبرى وأنها تشكل تعبا وقلقا للمنكبين على جمعه ، ثم اظهار السعادة فى القناعة والرضا بقسمه الله وهذه هى نظرة الزاهدين ·

الدوله الناجحة فى نظر ابن خلدون :

يرى ابن خلدون أن الدوله الناجحة هى تلك الدوله التى تقوم على العدل والمحبة المتبادله بين الراعى والرعية ليلوذوا به ، ويشربوا محبته ، ويستميتوا دونه فى محاربه أعدائه، فيستقيم الامر من كل جانب ·

ثم يخبرنا ابن خلدون بحقيقه هامه عن مصير الامه المغلوبه فيقول: « ان الامه اذا غلبت وصارت فى فلك غيرها أسرع اليها الفناء » ·

تواضع علمى لامثيل له :

بعد كل هذا العلم الغزير الصادر من هذا العالم الكبير لنجدن مايدعونا الى غايه الاعجاب بتواضعه فى آخر كتابه « المقدمة » على رغم من شموله لشعب عمم العمران البشرى ، حيث يقول « ولعل من يأتى بعدنا ممن يؤيد الله بفكر صحيح وعلم مبين ، يغوص من مسائله على أكثر ماكتبنا، فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله ، وانما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله ·· والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئا فشيئا، الى أن يكمل والله يعلم وأنتم لاتعلمون»